تجليد المخطوطات العربية:

ارتبط فن التجليد في تطوره وتقدمه بتطور شكل الكتاب في العصر الإسلامي، والذي ارتبط بدوره بتقدم وتطور مواد وأدوات الكتابة والتجليد والتذهيب والتلوين على مر العصور(1).

فقد تعددت الأدوات والآلات المستخدمة في عملية التجليد ومنها: البلاطة (الرخامة)، وحجر المسن، والمقراض، والمبرد، والمقدة، والشفرة، والمنفذ، والملف، والرزم، والمشط (أداة التمحيط)، والشفاء، والمقص، والكازن، والإبر، والسيف، والمعصرة، والمطرقة، والمكبس، وحجر البركان، والملصقة، والمصقلة، والنصاب، والملازم، والقازان أو مجمع الغراء أو وعاء طبخ الغراء، وحديدة قوية مهيئة لشد الملزم وحله، والمساطر(القبطال)، والبياكير، ومفردها بيكار، وأيضًا الحديد الذي للنقش، ثم نقط النقش([2]).

ففي بداية الأمر كانت أوراق المخطوط تجمع بين لوحين من الخشب أو دفتين([3]) من الورق المقوى بينهما كعب، بحيث يتم ثقب اللوحين في مكانين متباعدين من ناحية القاعدة ويمر بكل ثقب منهما خيط رفيع من ليف النخيل يبدأ بأحد اللوحين، ثم تخرز به صحف أو صحائف Codex المخطوط حتى ينفذ إلى اللوح الآخر من الناحية المقابلة فيعقد، وقد أخذ العرب هذه الطريقة البدائية في التجليد عن الأحباش والأقباط أو المصريين، وأضيف إلى هذا التجليد البدائي كسوة من الرق أو القماش أو صفائح من معدن الذهب والفضة المرصعة بالأحجار الكريمة، وأحيانًا بالقماش المطرز، ثم أضيف إلى ذلك كله قفل أو إبزيم واحدًا أو أكثر، ليمكن من غلق الكتاب المجلد غلقًا محكمًا([4]).

ويعتقد أن أول ظهور لفن تغليف أو تجليد الكتب كان عند أقباط مصر، وبخاصة في الأديرة والكنائس لاهتمامهم بنسخ وتجليد الكتاب المقدس، وكان هذا الفن قد نال اهتمامًا كبيرًا عند رهبان الأديرة،

---

(1) للاستزادة انظر: عبد العزيز عبيد الرحمن مؤذن: فن الكتاب المخطوط في العصر العثماني، مجـ1، ص ص 272–273.

(2) للاستزادة انظر: علاء الدين عبدالعال عبد الحميد: "أدوات كتابة وتجليد وتذهيب المخطوط الإسلامي"، ص ص 77–80.

(3) الجمع دفوف، والدف مجموعة من أوراق مستعملة ملصقة بعضها ببعض، وتلصق بين الكسوة الخارجية والكسوة الداخلية أو البطانة لعمل سمك للغلاف، ولتثبيته بالملازم الداخلية للكتاب، وهذه الدفوف هي التي يلصق عليها الجلد. للاستزادة انظر: سامح فكري البنا: الفنون الإسلامية دراسة في تجليد المخطوطات في العصور الإسلامية. العصر التيموري، هامش رقم 2 ص 31.

(4) للاستزادة انظر: اعتماد يوسف القصيري: فن التجليد عند المسلمين، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1979م، ص 5، أيمن فؤاد سيد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، جـ1، ص 38، سامح فكري البنا: الفنون الإسلامية دراسة في تجليد المخطوطات في العصور الإسلامية.العصر التيموري، ص 104، 108.

وإن أقدم ما عرف من أغلفة الكتب كانت من صنع الأقباط، ويعتبر فن التجليد القبطي الأصل الذي أخذ عنه التجليد والمجلدون في العالم الإسلامي([5]).

وكان التجليد في زمن الخليفة المأمون العباسي مستقلاً عن غيره من فنون الكتاب يحترفه أناس ذو خبرة ودراية، وما زال يعني بأمر الكتب والمكتبات حتى كانت بعض خزائنه تشتمل على أكثر من مائة ألف كتاب مجلد جيدة النسخ والتجليد([6]).

ومنذ بداية القرن الرابع الهجري–العاشر الميلادي انتشرت صناعة التجليد في مصر، وجاء صناع من بلاد الحجاز قدموا إلى مصر وأقاموا في حارة الحسينية، حيث أنشئوا مدابغ صنعوا بها جلودًا على نمط جلود الطائف التي اشتهرت بالدباغة([7]).

وبدار الكتب المصرية نماذج لأغلفة الكتب المؤرخة والتي ترجع إلى أواخر العصر الأيوبي وتشتمل على زخارف من الخارج، أما من الداخل فمبطنة بصفحة من الجلد المبشور خالية من الزخرفة، ويفصل بين الغلاف الخارجي والبطانة الداخلية دفوف من الورق المستعمل([8]).

ومن العصور التي شهدت تقدمًا كبيرًا في فن التجليد عصر المماليك، وتشهد بذلك الجلود التي وصلتنا من هذا العصر، وفيه اتخذت زخرفة الغلاف نمطًا ثابتًا من حيث تقسيمه إلى متن وإطار وركن، واشتماله على لسان خماسي الأضلاع وبطانة، وتميزت أغلفة المصاحف والربعات الشريفة بتحليتها بالزخارف الهندسية المتشابكة والتي تغطي جلدة الغلاف، بالإضافة إلى عمل نقاط ذهبية مضغوطة، وفي بعض الأحيان كانت تتوسط الغلاف شكل جامة أو منطقة مزخرفة بقطع رقيقة من الجلد على هيئة زخرفة نباتية فوق أرضية ملونة، أما حواف الغلاف فكانت تخصص غالبًا للوحدات الهندسية والكتابات([9]).

وقد ازدهرت صناعة تسفير أو تجليد الكتب ازدهارًا كبيرًا حتى تحولت من مجرد كسوة للكتاب([10]) بالجلد، أو جعل سفر لحفظه إلى فن جميل شمل مجموعة من الزخارف النباتية والهندسية والكتابية، إلى

---

(5) للاستزادة انظر: يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص ص 249–250، حسن الباشا: دراسات في الجلود والتجليد، الموسوعة، مج2، ص 300.

(6) محمود عباس حموده: تطور الكتابة الخطية العربية، ص 227.

(7) حسن الباشا: دراسات في الجلود والتجليد، الموسوعة، مج2، ص 301.

(8) حسن الباشا: دراسات في الجلود والتجليد، الموسوعة، مج2، ص ص 301–302.

(9) حسن الباشا: دراسات في الجلود والتجليد، الموسوعة، مج2، ص 302.

(10) يسمى الكتاب كتابًا لتأليف حروفه، وانضمام بعضها إلى بعض، وكل شيء جمعته وضممت بعضه إلى بعض، فقد كتبته. للاستزادة انظر: الدينوري: رسالة الخط والقلم، ص ص 22–23.

أن وصل إلى زخارف الأرابيسك بالإضافة إلى استخدام التلوين والتذهيب لإبراز تلك الزخارف، بحيث أصبح الكتاب متعة للنظر قبل الفكر([11]).

وقد ذكرت المصادر التي تناولت صناعة التجليد كل ما يحتاج إليه ملتمس هذه الصناعة من سرعة الفهم وجودة النظر وحلاوة اليد وترك السرعة والتثبيت والتأني وحسن الجلوس وملاحة الإستمالة وحسن الخلق ([12]) .

- **<u>ومن أشهر ما وصلنا من تصاوير توضح أدوات ومراحل صناعة التجليد الإسلامي:</u>**

- تصويرة توضح نماذج من أدوات التجليد([13]). (لوحة رقم 34)

- تصويرة توضح عامل فني يقوم بصنع مسند خشبي للكتاب([14]). (لوحة رقم 35)

- تصويرة توضح عامل فني يقوم ببرد وتسوية أطراف الكتاب([15]). (لوحة رقم 36)

- تصويرة توضح عامل فني يقوم بتجليد الكتاب، وختم الزخرفة عل الغلاف([16]). (لوحة رقم 37)

<u>شكل وحجم أغلفة أو جلدة الكتاب العربي:</u>

انقسمت أغلفة الكتب من حيث الشكل إلى ثلاثة أنواع:

- المربع أو القريب من المربع، ومن أمثلته مصحف نسخ في مدينة بلنسية بالأندلس سنة 578هـ/ 1182م ويبلغ حجمه 17.5× 18.5سم، وهذا المصحف محفوظ في مكتبة جامعة اسطنبول.

- الأفقي (السفيني) ويتميز بأن عرضه أكبر من طوله، ويعرف هذا الكتاب بالفورمة الإيطالية.

- العمودي وطوله أكبر من عرضه، ويعرف بالفورمة الفرنسية.

---

(11) للاستزادة انظر: السفياني (أبو العباس أحمد بن محمد ت 1029هـ): صناعة تسفير الكتب وحل الذهب، تعليق: المسيو ريكار–متفقد الفنون الأهلية ومدير متحف الآثار بفاس، Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, deuxieme Edition, 1825, P.1.

(12) ابن باديس التميمي الصنهاجي (المعز بن باديس ت 454هـ): عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (فيه صفة الخط والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التجليد)، حققه وقدم له: نجيب مايل الهروي، وعصام مكية، نشر مجمع البحوث الإسلامية، إيران، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ط1، ذو القعدة 1409هـ، ص 95، 98، السفياني: صناعة تسفير الكتب وحل الذهب، ص ص 10–11.

(13) نقلاً عن: عبد العزيز عبيد الرحمن مؤذن: فن الكتاب المخطوط في العصر العثماني، مج2، لوحة رقم 60.

(14) نقلاً عن: يوهنس بيدرسن: الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، ص 189، لوحة رقم 14.

(15) نقلاً عن: يوهنس بيدرسن: الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، ص 187، لوحة رقم 12.

(16) نقلاً عن: يوهنس بيدرسن: الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، ص 188، لوحة رقم 13.

وقد عرفت هذه الأشكال الثلاثة في العصور الإسلامية الأولى، ثم شاع استخدام الشكل العمودي منذ القرن الخامس الهجري–الحادي عشر الميلادي، وتميزت جلود الكتب بالكعوب المستوية غير البارزة، وبمساواتها في الحجم لورق الكتاب، وباشتمالها على امتداد في الجانب الأيسر عرف باللسان([17]).

- **غلاف أو جلدة الكتاب:**

مر التجليد في العصر الإسلامي بثلاث مراحل، هي:

- **الطريقة البدائية التي تقوم على ربط متن الكتاب بالغلافين الخشبيين الخاليين من الكتابة والزخرفة، دون استعمال الجلد.**
- **الطريقة الثانية: تم لصق أوراق الكتاب (الملازم) بشريط من الجلد(الكعب) مثبت على اللوحين.**
- **الطريقة الثالثة: غطي اللوحان بغلاف من الجلد مزخرف، وبطن من داخله بالحرير أو القماش([18]).**

- **البطانة:**

كان المجلدون يبطنون أغلفة الكتب من الداخل بالبردي أو الرق أو الورق أو بالحرير والقماش، وكانت البطانة تحلى بزخارف تنفذ بواسطة الختم أو الضغط، وكانت الزخارف عبارة عن أشكال هندسية ونباتية، وقد يعمد المجلد إلى تخطيط المساحة أولاً، ثم ينفذ الزخارف على أوراق منفصلة ثم يقوم بقصها، ولصق كل جزء منها في مكانه من البطانة أو الغلاف الداخلي([19]).

- **اللسان:**

عرف منذ وقت مبكر، حيث عرف عند الأقباط، ونقله عنهم المسلمون، وقد ذهب البعض أنه ابتكار اسلامي، ويقع اللسان في الغلاف القبطي في الجانب الأيسر، وكان على شكل قطعة مستطيلة، أما في الكتاب الإسلامي فيكون في الجانب الأيمن، ووظيفته هي حماية الكتاب، وكان يصنع أحيانًا عريضًا بحيث يصلح أن يكون ظرفًا للكتاب الذي يطبق فوقه، ويستخدم اللسان أيضًا لكي يستدل به القارئ على موضع الصفحة التي انتهى إليها([20])، فيجعله حدًا فاصلاً بين ما قرأ من الكتاب وما لم يقرأه بعد([21]).

---

(17) حسن الباشا: دراسات في الجلود والتجليد، الموسوعة، مجـ2، ص 302، شادية الدسوقي عبد العزيز: فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية، ص ص 17–18، سامح فكري البنا: الفنون الإسلامية دراسة في تجليد المخطوطات في العصور الإسلامية. العصر التيموري، ص 109.

(18) للاستزادة انظر: يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص ص 251–257.

(19) للاستزادة انظر: يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص 257، حسن الباشا: دراسات في الجلود والتجليد، الموسوعة، مجـ2، ص 302.

(20) أيمن فؤاد سيد: كنوز دار الكتب المصرية، ص ص 116–117.

(21) للاستزادة انظر: يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص ص 257–258.